أصوات الاستعلاء في العربية وأثرها الدلالي

د. خالد محمد حماش *

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد.. فإن اللغة العربية قد حظيت بعناية ربانية خاصة قبل نزول القرآن، إذ هيأ لها من القرائح الصافية والأذهان الذكية والبيئة المناسبة ما جعلها أهلاً لتلقي وحي السماء كتاباً خالداً خاتماً لجميع الرسالات معجزاً في نظمه وأسلوبه وتأثيره، باعتراف العرب جميعاً ممن آمنوا به وصدقوه وممن اعترفوا بسمو بلاغته وإن لم تكتب لهم السعادة بالإيمان، وممن كابروا بألسنتهم وأقروا بعجزهم وسكوتهم عن محاولة الإتيان بسورة واحدة من مثله عندما تحداهم مرة تلو المرة.

ثم زادت هذه اللغة بالقرآن بهاءً وجمالاً، وازدادت محبة أهلها لها ففدوها بأرواحهم وعقولهم وعكفوا على تأملها ودراستها ووضع القواعد لحفظها عندما لمحوا شيئاً من اللحن والتغيير فيها، فوضعوا لنا معجمات لحفظ مفرداتها وقواعد للصرف والنحو لحفظ أبنية كلماتها وتراكيبها وقواعد في البلاغة لحفظ وضبط أساليبها وكشف أسرار جمالها وتأثيرها.

---

* كلية التربية – جامعة صنعاء

ولم يفتهم أن يضعوا الضوابط الدقيقة لمخارج أصواتها وصفات حروفها وقواعد نطقها وأثر بعضها في بعض، أثناء نطق الكلمات والجمل وما يحدث فيها من تفخيم وترقيق وإدغام كامل وناقص، وما سوى ذلك، فقدموا لنا علماً في الأصوات سبقوا به العالم مئات السنين، وكان سبباً في حفظ أصوات هذه اللغة أمام التطور اللغوي، وأمام كثرة العاميات العربية وعيوبها ومشاكلها، حيث بقي النطق السليم الدقيق للقرآن خاصة والعربية عامة محفوظاً بالقواعد والتطبيق على مر الأزمان والعصور.

وهذا البحث تناول جانباً من هذا العلم وهو (أصوات الاستعلاء في العربية) وميزاتها وأقوال العلماء القدماء والمحدثين فيها وأثرها على غيرها من الأصوات داخل التركيب، ثم عرّج على أثر هذه الأصوات في الدلالة، راجياً أن يكون هذا البحث خطوة جادة في الكشف عن كثير من أسرار هذه اللغة الشريفة، وعملاً متواضعاً في التعريف بجهود علمائنا العظام في حفظها. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الاستعلاء والتفخيم لغة واصطلاحاً:

الاستعلاء لغة: الارتفاع والعلو، «علا في المكان من باب سما، واستعلى الرجل علا»[1]، «والعين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واواً أو ألفاً يدل على السمو والارتفاع لا يشذ عنه شيء»[2]، «وعلا في الجبل صعد، وعلا في الأرض تكبر»[3]، والاستعلاء ضد الانخفاض.

أما الاستعلاء اصطلاحاً فهو: ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى[4]، ويقول ابن جني: «ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك إلى الأعلى»[5]، وهذا التعريف مستمد من سيبويه[6].

وحروف الاستعلاء سبعة جمعت في قولهم: «خص ضغط قظ»[7]، حروف الإطباق (ص ض ط ظ) والغين والخاء والقاف [8].

قال ابن الجزري[9]: و«هي حروف التفخيم على الصواب وأعلاها الطاء، كما أن أسفل المستفلة الياء».

ولم يزد أحد على هذه الأصوات شيئاً إلا أنهم ألحقوا بها اللام والراء المفخمتين[10]، ويمكن زيادة الألف المدية المفخمة إليها أيضاً.

سبب التسمية: من خلال المعنى الاصطلاحي يتبين لنا سبب تسمية هذه الأصوات بأصوات الاستعلاء أو الأصوات المستعلية «لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك فينطبق الصوت مستعلياً بالريح مع طائفة من اللسان مع الحنك، هذا مع حروف الإطباق، ولا ينطبق الصوت مع الغين والخاء والقاف وإنما يستعلي الصوت غير منطبق»[11].

ويقول الحصري[12]: ووصفت هذه الحروف بالاستعلاء لاستعلاء أقصى اللسان عند النطق بها. وينقل عن العلامة المرعشي[13]: «إن المعتبر في الاستعلاء إنما هو استعلاء أقصى اللسان، سواء استعلى معه بقية اللسان أم لا».

وفي وصف هذه الحروف بالاستعلاء مجاز لأن المستعلي في الحقيقة إنما هو آخر اللسان، وأما الحروف فمستعل عندها اللسان، فكان حق التعبير أن يقال: الحروف المستعلي عندها اللسان، ولكن حصل فيه اختصار فقيل الحروف المستعلية، وعلاقة المجاز المجاورة[14].

والتفخيم لغة: رجل فخم، أي عظيم القدر، و(التفخيم) التعظيم[15].

واصطلاحاً: تعظيم الحرف بجعله في المخرج سميناً وفي الصفة قوياً ويقابله الترقيق من الرقة، وهي النحافة ضدّ السمن، وفي الاصطلاح: تنحيف الحرف بجعله في المخرج نحيفاً وفي الصفة ضعيفاً. وعرف بعضهم التفخيم بأنه: النطق بالحرف غليظاً ممتلئ الفم بصداه[16].

بين الإطباق والاستعلاء:

كل مطبق مستعل وليس كل مستعل مطبقاً، فإن حروف الاستعلاء تحتوي على حروف الإطباق كاملة، فحروف الإطباق كلها مستعلية، فبينهما خصوص وعموم[17]، أي أن كل مطبقٍ مستعل وليس كل مستعلٍ مطبقاً.

وحروف الإطباق هي: الصاد والضاد والطاء والظاء.

والإطباق لغة: من أطبق الشيء غطاه وجعله مطبقاً[18]، ومن هذا قولهم أطبق الناس على كذا، كأن أقوالهم تساوت حتى صير أحدها طبقاً للآخر[19].

ولا يبعد المعنى الاصطلاحي عن هذا المعنى، يقول سيبويه: «إذا وضعت لسانك في

مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف»[20].

ويقول ابن جني[21]: «أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له»، فهو إذن إطباق يحصل عند النطق بهذه الحروف الأربعة بين ظهر اللسان والحنك الأعلى، يرافقه استعلاء بطبيعة الحال، أما بقية حروف الاستعلاء وهي: (الخاء والغين والقاف) فيرتفع معها أقصى اللسان وهو الاستعلاء، ولو نظرت إلى المرآة وأنت تنطق هذه الحروف الثلاثة الأخيرة لرأيت ظهر أقصى اللسان يرتفع إلى الحنك الأقصى، ولو نظرت إلى المرآة وأنت تنطق حروف الإطباق لما شاهدت ظهر اللسان أصلاً لأنه في هذه الحالة يكون جلّه مرتفعاً إلى الحنك الأعلى وهذا هو الفرق بين الإطباق مع الاستعلاء وبين الاستعلاء بدون إطباق، والله أعلم بالصواب.

ومن عجيب الموافقات أن رسم أصوات الإطباق الأربعة يبدأ بشكل (صـ) وهو قريب من شكل اللسان أثناء النطق بهذه الأصوات.

والإطباق درجات فهو على الإجمال إطباق ولكن قد يزيد كثيراً حتى يغلق مخرج الحرف تماماً وهي صفة الشدّة فيجتمع مع الإطباق شدة، فالشدة اشتداد الحرف في مخرجه حتى لا يخرج معه صوت[22] ، فإذا اجتمع أيضاً مع الشدة جهر، والجهر منع النَّفَس أن يجري معه عند النطق به لقوته وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه[23]، عندها لابد لإخراج هذا الصوت من أحد أمرين: إما بالحركة إن كان متحركاً فيكون إخراج الحرف بالتباعد، (أي: بتباعد عضوي المخرج)، فإن كان الحرف ساكناً لسبب نحوي أو صرفي فلابد من القلقلة لإخراج الحرف حيث يقلقل الحرف أو يلقلق[24] ليتمكن الهواء من التسرب والخروج فيظهر الصوت.

وسميت القلقلة بهذا الاسم لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقوف على حروف القلقلة وزيادة إتمام النطق بهن[25].

وحروف القلقلة خمسة يجمعها (قطب جد) وذلك لاجتماع الشدة والجهر فيهن.

والحرف الوحيد المقلقل من بين حروف الإطباق هو (الطاء)، وهو أعلى درجات الإطباق إطباقاً، والظاء أضعفها، والصاد والضاد متوسطتان[26].

ومن الفروق بين أصوات الإطباق وبقية أصوات الاستعلاء أن أصوات الإطباق مخارجها في غير منطقة الإطباق، وإنما إطباق اللسان مع الحنك الأعلى هو عَرَض يحصل مع خروج الحروف من مخارجها، أما الغين والخاء والقاف فهي قريبة جداً من منطقة الإطباق فبذلك اشتركت مع حروف الإطباق بصفة الاستعلاء لما في رفع مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى من الاستعلاء والتفخيم[27].

ويقسم الدكتور أحمد مختار عمر[28] الأصوات المفخمة إلى ثلاثة أنواع:

أ- أصوات كاملة التفخيم (ص- ض- ط- ظ واللام المفخمة).

ب- أصوات ذات تفخيم جزئي وهي: (خ - غ - ق).

ج- صوت يفخم في مواضع ويرقق في مواضع وهو: الراء.

والتفخيم عنده معناه: ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق اللين وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق ولذلك يسميه بعضهم (الإطباق) بالنظر إلى الحركة العليا للسان، ويسميه بعضهم (التحليق) بالنظر إلى الحركة الخلفية للسان، ويلاحظ أن حروف الإطباق لها مقابل مرقق فالصاد تقابلها السين، والضاد تقابلها الدال والطاء تقابلها التاء، والظاء تقابلها الزاي.

أما الخاء والغين والقاف فليس لها مقابل مرقق ولذلك تتساهل اللغة في ترقيقها لأنه لا يترتب عليه تداخل فونيمي. وربما يكون هذا الحكم في غير قراءة القرآن، أو في اللغات العامية، ولم ينبه الدكتور أحمد مختار عمر إلى أن اللام في أغلب حالاتها مرققة.

ويمكن أن نخلص مما ذكرناه إلى أن حروف الاستعلاء نوعان: نوع دائم التفخيم وهي المجموعة في قولهم: (خص ضغط قظ) لا يستثنى منها شيء في حال من الأحوال، ونوع عرضي التفخيم وهي (اللام والراء) أما اللام فتفخم في اسم الله تعالى، بعد فتحة أو ضمة إجماعاً، أو بعد بعض حروف الإطباق في بعض الروايات، وأما الراء فتفخم إذا كانت مضمومة أو مفتوحة مطلقاً في أكثر الروايات، والساكنة في بعض

الأحوال، على تفصيل في ذلك، وهذان الحرفان في حال تفخيمهما يكونان من الحروف المستعلية[29].

والألف المدية أيضاً تفخم إذا سبقها حرف مفخم، ويبدو أنهم لم يذكروها مع الحروف المفخمة لأنها تبع لما قبلها، يقول ابن الجزري[30]: «وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق ولا تفخيم بل بحسب ما تتقدمها فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً، ولذلك لا تكتب لوحدها في الحروف الهجائية وإنما توضع مع حرف اللام فتكتب هكذا (لا) وما وقع من كلام بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فإنما يريدون التحذير مما يفعله العجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيروها كالواو».

واختلف في مراتب حروف الاستعلاء فبينما عدّ مكي بن أبي طالب[31] القاف أشدها استعلاء، نرى ابن الجزري[32] قد عدّ الطاء أعلاها استعلاء.

واللافت للنظر أن الحرفين من حروف القلقلة التي يجتمع فيها الجهر والشدة، فكأن الجهر والشدة زادا من استعلائهما.

ومن يذهب إلى أن الإطباق زيادة في الاستعلاء يرى أن الصواب مع ابن الجزري لأن الطاء مطبقة، فهي أعلى حروف الاستعلاء استعلاء وتفخيماً، والحق أن تذوق القاف مع الطاء يكاد يقطع بأن القاف أكثر تفخيماً.

وقد رتب الشيخ محمود خليل الحصري[33] حروف الاستعلاء في القوة على هذا الشكل ط، ض، ص، ظ، ق، غ، خ، من غير تعليل أو مصدر.

وتتفاوت حروف الاستعلاء في التفخيم بحسب حركاتها وما يليها من أصوات، فإن أعلى درجات التفخيم إذا جاء بعد حرف الاستعلاء ألف مدية مثل: (خائفين، وغالبين) يليها في التفخيم حالة مجيء حروف الاستعلاء مفتوحاً مثل: (خَلَقوا) يليها حالة الحرف المستعلي مضموماً مثل: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾، يليها حالة الحرف المستعلي ساكناً مثل: ﴿يخْلق ما يشاء﴾، يليها حالة الحرف المستعلي مكسوراً مثل: ﴿وقيل يا أرض...﴾، وحروف الاستعلاء وما لحقها لا تخرج عن التفخيم في كل هذه الحالات ولكن تتفاوت درجات التفخيم ارتفاعاً وانخفاضاً[34].

وهناك رأي وجيه قاله صاحب نهاية القول المفيد، وهو أن اللام المفخمة في لفظ الجلالة أعلى مراتب التفخيم أي أعلى من حروف الاستعلاء السبعة[35].

وبعد هذا التمهيد في التعريف بالاستعلاء والإطباق والتفخيم في الأصوات العربية يمكننا أن نتعرف على كل حرف من حروف الاستعلاء الدائمة منها وهي: (خص ضغط قظ) والعرضية، وهي: الراء واللام والألف المدية، ونبدأ بالحروف المطبقة ثم الحروف المستعلية من غير إطباق ثم المفخمة عرضاً.

- الطاء -

قال الليث قال الخليل: «والطاء والتاء والدال نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى»[36] ، «والنِّطْع والنِّطَع والنَّطْع والنَّطعة ما ظهر من غار الفم الأعلى وهي الجلدة الملتزقة بعظم الخليقاء فيها آثار كالتحزيز، وفي الحديث: ((**هلك المتنطعون**))؛ هم المتعمقون المعالون في الكلام الذين يتكلمون بأقصى حلوقهم تكبراً... قال ابن الأثير: هو مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى في الفم»[37].

وبيّن سيبويه مخرج الطاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا[38]، وبيّن صفاته فقال: «هو مجهور[39] ، مطبق شديد، ومن حروف الاستعلاء»[40].

وقد وافق ابن جني سيبويه في كل ما ذهب إليه، وزاد عليه أنه صوت مشرب قائلاً: «واعلم أن في الحروف حروفاً مشربة تحفز في الوقف وتضغط عند مواضعها، وهي حروف القلقلة (ق – ج – ط – د – ب) لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت وذلك لشدة الحفز والضغط»[41].

والمقصود بالوقوف هنا السكون، يقول ابن الجزري: وذهب متأخرو أئمتنا إلى تخصيص القلقلة بالوقف تمسكاً بظاهر ما رأوه من عبارة المتقدمين **أن المراد بالوقف ضد الوصل، وليس المراد سوى السكون فإن المتقدمين** يطلقون الوقف على السكون... ونقل **عن الأستاذ أبي الحسن** شريح أنه قال في كتابه (نهاية الإتقان **في** تجويد القرآن): «أن القلقلة تكون متوسطة كباء الأبْواب ومتطرفة كباء لم يتبأ»[42].

وأما عند المحدثين فالطاء صوت شديد (انفجاري) مهموس يتكون كما تتكون التاء

غير أن وضع اللسان مع الطاء يختلف عن وضعه مع التاء، فاللسان مع الطاء يتخذ شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى ويرجع إلى الوراء قليلاً، وهو أسناني لثوي مفخم مطبق[43].

والملاحظ أن المحدثين جعلوا الطاء مهموسة على حين هي مجهورة عند القدماء، وقد وضع الدكتور كمال بشر ثلاثة احتمالات[44] لتفسير هذا الخلاف، **الأول:** أن القدماء أخطأوا التقدير فظنوا أن الطاء مجهورة.

والثاني: أن الصوت تطور في نطقه فلعلهم كانوا ينطقونه في القديم بما يشبه نطق الضاد الحالية، والضاد الحالية صوت مجهور، وهي النظير المطبق أو المفخم للدال، ومعنى هذا الكلام أن ضادهم كانت تختلف عن ضادنا الحالية، أي أنها صوت لا نظير له في نطقنا الحالي، ويؤيد هذا الاحتمال الثاني بشقيه نص سيبويه، أن الضاد «لا يخرج من موضعها شيء غيرها»[45] ، على حين أن ضادنا الحالية تخرج من منطقة التاء والطاء والدال، وهذا الاحتمال أخذ به د. إبراهيم أنيس[46].

والثالث: لعلهم كانوا يصفون صوتاً يشبه طاء صعيد مصر وبعض السودانيين، وهو صوت مشرب التهميز، وقد سجل هذه الملاحظة الدكتور تمام حسان[47].

أما الاحتمال الأول فهو مستبعد لما رأيناه من دقة الأولين في وصف الأصوات، كما أنها من حروف القلقلة التي لابد فيها من اجتماع الشدة والجهر وإلا لما قلقلت لو كانت مهموسة كما هو الحال في التاء والكاف فهما شديدان مهموسان، وهمسهما حال بينهما وبين القلقلة، فإن صوت الهمس الخفيف عقب النطق بهما عند تسكينهما هو الذي جنب الحرف القلقلة.

وأما الثاني فيمكن التسليم به إذا كان النظر في صفة الحرف إلى عامة الناس أو إلى غير المدققين في مخارج الحروف وصفاتها من القراء المجيدين الذين تلقوا القراءة عن شيوخهم، لأنه بالفعل لدى العامة وكثير من المثقفين قد تغيرت مخارج كثير من الحروف بتأثير لهجاتهم فيعرف المتحدث بالفصحى عادة إن كان شامياً أو مصرياً أو عراقياً أو سودانياً من خلال مخارج حروفه، أمّا قراء القرآن المجيدون المحققون فلا تظهر آثار

لهجاتهم على قراءتهم، فإن كان المحدثون يتحدثون عن الطاء عند غير القراء المحققين، وهذا هو الأرجح لأنهم في الغالب يعتمدون المنهج الوصفي ويصفون واقع اللغة لدى الناس، فإن الطاء لدى هؤلاء الناس قد تغيرت ولا يبعد أن تكون قد تراجعت عن صفة الجهر لقربها من التاء المهموسة، فقد تخرج لدى بعض الناس تاءً مستعلية، وقد سمعتها في عمران (محافظة في اليمن قرب صنعاء) قريبة من الضاد فيقرأ بعضهم: (وأضيعوا الله) بدل ﴿وأطيعوا الله﴾. وفي ذلك ما فيه من تغير في الدلالة.

وأما قول سيبويه الذي استدل به د. كمال بشر فهو كلام دقيق يعبر عن دقة مخرج الضاد وتفرده وليس بالضرورة أن لا يكون قريباً من مخرج آخر فإن مخرج الضاد لدى القراء له من الضوابط ما يحصنه من الاختلاط بغيره ولكن مع كثير من الدقة والحذر والرياضة كما أشار القدماء.

وشيء آخر لابد من التنبيه إليه وهو أن الجهر أيضاً مراتب كما هو الحال في التفخيم وقد تكون الطاء أقل جهراً من غيرها، وتذوق ذلك بالطريقة المعهودة بوضع الإصبع على الحنجرة والنطق بالحرف يثبت ذلك.

ولا ننسى أخيراً أن القرآن الكريم محفوظ وحفظه يتطلب حفظ لغته وفي مقدمة حفظ لغته حفظ أصواته، ومصداق ذلك ما رأيناه من الجهود الضخمة لعلماء القراءات والتجويد في ضبط هذا الأمر، وما أثبته علم الأصوات الحديث من دقة نظرهم وملاحظاتهم، برغم قلة الأدوات بين أيديهم أمام ما توافر للباحثين المحدثين، فأي حديث عن فقد بعض الأصوات وتطورها وتبدلها ينال من هذا الحفظ المؤكد فينبغي أن نكون منه على حذر.

صوت الطاء ضمن قانون المماثلة:

إبدال الطاء من تاء افتعلت: إذا جاءت فاء افتعلت صاداً أو ظاءً أو ضاداً تقلب طاءً البتة؛ وذلك لتتماثل مع أخواتها: الصاد والظاء والضاد في الإطباق والاستعلاء، نحو: اصتبر – اصطبر، واضترب – اضطرب، واظتهر – اظطهر – اظّهر.

يقول ابن جني: «لما رأوا التاء بعد هذه الأحرف والتاء مهموسة وهذه الأحرف مطبقة،

والتاء مخفتة قربوها من لفظ الصاد والضاد والظاء بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن وهو الطاء لأن الطاء أخت التاء في المخرج وأخت هؤلاء الأحرف في الإطباق والاستعلاء، وقلبوها مع الطاء طاءً أيضاً لتوافقها في الجهر والاستعلاء وليكون الصوت متفقاً»[48].

إبدال الطاء من تاء فعلت، فحصت - فحصط، ضبطت - ضبطّ قياساً على اصطبر واطلع، وسببه شدة اختلاط الفعل بالتاء حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من الكلمة[49].

- الظاء -

عدها الخليل من الأصوات اللثوية مع الذال والثاء؛ لأن مبدأها من اللثة[50] ، وبين سيبويه أن مخرجها ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا[51] وصفاته: مطبق[52] مجهور رخو احتكاكي مستعل[53]. وقد وافق ابن جني سيبويه في جهر الظاء»[54]. وهذا ما استقر الأمر عليه عند اللغويين والقراء[55].

أما المحدثون فقد حددوا مخرجها بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى بصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيق فيحدث الاحتكاك مع ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه أقصى الحنك، كما يرجع إلى الخلف قليلاً فيحدث الإطباق، فالظاء صوت مما بين الأسنان، احتكاكي (رخو) مجهور، مفخم، مطبق، وينطق هذا الصوت خطأ كما لو كان زاياً مفخمة كما في اللهجات الشامية والمصرية، وبعض اللهجات تخرجه بشكل صحيح كما هو عند العراقيين[56].

والخلاف بين القدماء والمحدثين في الظاء هو تسميته باللثوي كما جاء عند الخليل وشرح المفصل والنشر، ويتعجب د. إبراهيم أنيس من هذه التسمية دون أن يعلق عليها[57].

والحق أن الرأي الراجح هو ما ذهب إليه المحدثون بدليل أننا لو حاولنا نطق الظاء بتقريب طرف اللسان من اللثة لظهر صوت آخر قريب إلى الضاد.

والظاء حرف خاص بالعرب كما جاء في لسان العرب[58] ، وكما ذكر ابن جني أن الظاء ليست من كلام النبط بدليل أنهم يقلبونها طاءً كما في ناطور إذ إن أصلها ناظور[59] ، وإن كان بعضهم يعد الطاء فصيحة، في هذه الكلمة.

قانون المماثلة وحرف الظاء:

إذا جاء فاء افتعل ظاءً تقلب التاء ظاءً مثلها ثم تدغم في الأولى، ففي اظتهر – اظظهر – اظّهر.

ومنهم من إذا كانت الفاء ظاء أبدل التاء طاءً، ثم أبدل الظاء طاءً وأدغم الطاء في الطاء فيقول اطّهر بحاجتي، وظلمته فاطّلم لي، وذلك لما بين الظاء والطاء من المقاربة في الإطباق والاستعلاء[60].

– الصاد –

عدها الخليل من الحروف الأسلية مع السين والزاي، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان[61]. وقد جاء في لسان العرب[62]: «وأسلة اللسان طرف شباته إلى مستدقه، ومنه قيل للصاد والزاي والسين أسلية... وفي كلام علي رضي الله عنه: (لم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم...)، وفي حديث مجاهد: إن قطعت الأسلة فبين بعض الحروف ولم يبين بعضاً، يحسب بالحروف، أي تقسم دية اللسان على قدر ما بقي من حروف كلامه التي ينطق بها لغته، فما نطق بها فلا يستحق ديته، وما لم ينطق به استحق ديته».

وأما سيبويه فقد أبقى مخرج الصاد مع الزاي والسين إلا أنه جاء بها على غير ترتيب الخليل في المخارج فقد جعلها بعد النطعية (ط، ت، د) على حين كانت عند الخليل قبلها، ويقول: ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد[63]، ثم ذكر صفة الصاد فعده مهموساً[64] مطبقاً[65] ، مستعلياً[66] يمنع الإمالة رخواً[67].

وفي المفصل ما بين الثنايا وطرف اللسان، وهي مع الزاي والسين: أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهو مستدق طرف اللسان، وهي حروف الصفير[68] وهي كذلك عند القراء وفي مقدمتهم ابن الجزري[69].

أما المحدثون فإنهم لا يكادون يخالفون القدماء في تحديد مخرج الصاد وصفاتها، فهو يخرج باعتماد طرف اللسان خلف الأسنان العليا فهو لثوي (أسلي عند الخليل)

المقابل المفخم (المطبق) للسين، مهموس احتكاكي (رخو عند سيبويه)[70].

يقول د. إبراهيم أنيس: الصاد صوت رخو مهموس يشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق، فعند النطق بالصاد يتخذ اللسان وضعاً مخالفاً لوضعه مع السين؛ إذ يكون مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى، مع تصعيد أقصى اللسان وطرفه نحو الحنك، ومع رجوع اللسان إلى الوراء قليلاً ككل الأصوات المطبقة[71].

وأصوات التفخيم عند د. إبراهيم أنيس هي أصوات الاستعلاء عند القدماء[72] ، وبالمقارنة بين القدماء والمحدَثين نجد أن المحدثين لم يزيدوا شيئاً على ما أتى به الأولون فيما يخص صوت الصاد، من مخرج وصفات وقد يكون القراء زادوا على المحدثين صفة الصفير للصاد مع السين والزاي كما جاء في المفصل والنشر، وقد تقدمت الإشارة إليه.

وهذا يدل على عمق تأويل وعبقرية نادرة عند علماء العربية الأوائل مع عدم توافر الإمكانات والأجهزة المتوافرة في العصر الحديث.

قانون التماثل مع الصاد:

وكثيراً ما يحل صوت الصاد مكان السين إذا ولي السين غين أو خاء أو قاف أو طاء مثل: يساقون ويصاقون، وسقر وصقر، وسخّر وصخّر، وأسبغ وأصبغ، وسراط وصراط، وسقت وصقت، وسويق وصويق، وسهلب وصهلب، يقول الشاعر:

تنيف إذا اقورت من القود وانطوت بهاد رفيع يقهر الخيل صلهب

ويجوز أن تكون الصاد في صلهب لغة ويجوز أن تكون بدلاً من سين سلهب لأن سلهب أكثر تصرفاً من صلهب[73].

والحكمة من ذلك عند سيبويه كراهية العرب أن ينتقلوا من الأسفل إلى الأعلى ويفضلون أن يبدأوا بالأعلى فيسهل عليهم الانحدار بعد ذلك[74].

- الضاد -

يعدها الخليل شجرية مع الجيم والشين لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم[75] ، وسيبويه جعل مخرجها من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس[76] ، كما عدها من حروف الإطباق[77] والاستعلاء[78] والرخوة[79] المجهورة[80]، ويصفها بالاستطالة، «وأنها تخالط غيرها بعد خروجها فتستطيل حتى تخالط حروف اللسان فسهل تحويلها إلى الأيسر»[81].

وفرق بين الضاد والضاد الضعيفة، ويشير إليه ابن يعيش[82] في شرح المفصل قائلاً: «والضاد الضعيفة لغة قوم اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها طاءً، وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم ذلك فخرجت بين الضاد والظاء».

وتابع ابن جني سيبويه في كل ما ذهب إليه، وزاد عليه وصفاً جديداً بقوله[83]: «وأما الضاد فلأن فيها طولاً وتفشياً فلو أدغمت في الطاء لذهب ما فيها من التفشي فلم يجز ذلك» فإذا كان يقصد بالتفشي ما قصده سيبويه بالاستطالة فلا جديد عند ابن جني بخصوص الضاد، ما خلا مقولته[84]: «واعلم أن الضاد للعرب خاصة ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل».

يؤكد د. إبراهيم أنيس أن هذه المقولة بدأت تظهر في القرن الرابع الهجري بعد أن ألّف الصاحب بن عباد كتابه الذي سماه: «الفرق بين الضاد والظاء»[85] ، وذكر ذلك ابن فارس «وزعم ناس أن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم»[86] ، ويقول ابن مكي الصقلي: «هذا رسم قد طمس، وأثر قد درس من ألفاظ جميع الناس خاصتهم وعامتهم حتى لا ترى أحداً ينطق بالضاد ولا يميزها من ظاء...»[87]. وهذا كلام قيل على سبيل المبالغة وليس على سبيل الحقيقة.

كما يُضعّف د. إبراهيم أنيس[88] الحديث القائل: «أنا أفصح من نطق بالضاد»[89]، وقد نبه قبله إلى ذلك ابن الجزري وقال إنه حديث لا أصل له ولا يصح[90].

ومما تمتاز به الضاد أنها من بين خمسة أحرف يدغم فيهن ما قاربهن ولا يدغمن

هن فيما قاربهن، وهن الراء والشين والفاء والميم (ضم شفر)[91].

وأما عند المحدثين فالضاد صوت مخرجه أسناني لثوي وصفته مجهور انفجاري (شديد) مفخم (مطبق)[92].

يقول د. إبراهيم أنيس[93]: «والضاد في أيامنا على ثلاثة أشكال، المصرية: أقرب إلى الدال، والعراقية أقرب إلى الظاء حتى كادت أن تقاربها، والشامية وهي أقرب شيء إلى الوصف المحدث، ولو أنها صعدت قليلاً إلى موطن الظاء لقاربت اللفظ القديم، ولا عجب في ذلك فالخلاف حول نطق الضاد قديم، فقد كان فريق من العرب في صدر الإسلام يخلط بين الضاد والظاء وهي لغة حكاها الفراء عن المفضل، قال[94]: «من العرب من يبدل الضاد ظاءً فيقول عظت الحرب، ومن العرب من يعكس فيقول (الضهر) وهذا لا يجوز العمل به في كتاب الله تعالى».

ويقول السيوطي: والضاد من أصعب الحروف في النطق[95].

إذن فالخلاف بين القدماء والمحدثين حول الضاد هو أنها:

أ) عند المحدثين أسنانية لثوية على حين هي عند القدماء قريبة من وسط الحنك، يقول د. كمال بشر[96] ، ويعود سبب الخلاف بيننا وبينهم إلى أحد أمرين:

1- إما إخفاق الأولين في تحديد موضع مخرجها.

2- وإما اختلاف ضادنا عن ضادهم.

وأراني أميل إلى الاحتمال الثاني لأن صعوبة نطقها جعل مخرجها يزحف إلى الأمام قليلاً عند قوم فتقترب من الظاء، وترجع قليلاً عند آخرين فتقترب من الدال، والدليل على ذلك أن القراء الجيدين يحققونها على وصفها عند الأقدمين، وسرّ تحقيقها في صفة الاستطالة التي تميزت بها عند سائر الأصوات، لأن اللسان بهذه الاستطالة ينفرش في أعلى الفم حتى تصل إحدى حافتيه فتلامس ما يحاذيها من الأضراس، أو كلاهما[97] ، وترك هذه الصفة التي تحتاج إلى رياضة وصبر في اكتسابها، هو الذي جعل هذا الصوت لا يتحقق له مخرجه الصحيح، والله أعلم بالصواب.

ب) عند المحدثين شديدة (انفجارية) وعند القدماء رخوة (احتكاكية).

وسبب هذا الخلاف أن الأقدمين يعدونها جانبية كاللام، وذكر ذلك باحث نواقة هو حفني ناصف فقال: «والضاد واللام يتوزعان حافة اللسان»[98] ولما فيها من التفشي والاستطالة كما نص على ذلك سيبويه وابن جني.

والرأي أن نتمسك بوصف القدماء مسترشدين بالقراء ونعلّم الناس النطق الصحيح، لا أن نسلم بما آل إليه حال الناس في نطقهم للضاد؛ لأن الأصل في وضع هذا العلم قديماً هو الحفاظ على النطق الصحيح للقرآن والعربية كما كان ينطق على عهد رسول الله ﷺ.

- الغين -

عد الخليل[99] مخرجها من الحلق وجعل ترتيبها الخامس في مدارج الحلق بعد العين والحاء والهاء والخاء، وجعل الخاء والغين في حيز واحد.

وأما سيبويه فقد جعلها قبل الخاء في أدنى مرتبة في الحلق من الفم[100] وهي عنده صوت مجهور[101] رخو[102] مستعل[103].

ونص شريح على أن الغين قبل الخاء وهو ظاهر كلام سيبويه، ونص مكي على تقديم الخاء، وقال ابن خروف النحوي: إن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد[104]. كما يرى ابن يعيش أن الخاء أقرب إلى الفم من الغين[105]. وذكر ابن جني أن الغين مجهور، مستعل، ورخو، موافقاً سيبويه[106].

أما المحدثون: فالغين عندهم هو النظير المجهور للخاء مخرجه من أقصى الحنك احتكاكي (رخو)، يرتفع أقصى اللسان حال النطق بهذا الصوت بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وبحيث يكون هناك فراغ يسمح للهواء بالنفاذ مع حدوث احتكاك، وتتذبذب الأوتار الصوتية في حال النطق به[107]. وهو من أصوات التفخيم الاستعلاء[108].

ورغم أن الدكتور كمال بشر يضع الغين بعد الخاء فإنه يؤكد أن مخرج الغين والخاء واحد، ولا فرق بينهما سوى بالجهر والهمس[109].

- الخاء -

هو من أصوات الحلق عند الخليل وسيبويه كما مر، والفرق بينه وبين الغين في المخرج ضئيل جداً حتى صعب تحديد السابق منهما في مدارج الحلق.

والخاء عند سيبويه صوت رخو[110] (احتكاكي) مهموس[111] مستعل[112] وأشار ابن جني إلى أن الخاء حرف مهموس[113].

وعند المحدثين هو نظير الغين المهموس وهو احتكاكي (رخو) ومخرجه من أقصى الحنك[114] وهو من أصوات الاستعلاء[115].

وذكر الأنطاكي أن مخرجه طبقي، والطبق فيه يلتقي أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، فإن كان الالتحام تاماً حدث صوت الكف، وإن كان غير ذلك حدث صوتا الغين والخاء[116].

- القاف -

يقول الخليل[117]: «وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم». والعُكدة والعَكَدة: أصل اللسان وعقدته وفي الحديث: إذا قطع اللسان من عقدته ففيه كذا، العقدة أصل اللسان وقيل معظمه، وقيل وسطه[118].

وهذا تحديد جيد لمخرج القاف والكاف أما الجيم فلا ينطبق عليه تماماً، وقد ذكر الخليل أن «القاف والكاف لهويتان والكاف أرفع»[119].

ويحدد سيبويه مخرج القاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك[120] ، وصفاته: الجهر[121] والشدة[122] والاستعلاء[123].

ويؤكد ابن جني[124] ما جاء عند سيبويه ويضيف عليه أن القاف من الحروف المشربة أو المقلقلة، ويبدو أن مصطلح (مشربة) الذي يعني به القلقلة لم يلق قبولاً لدى الدارسين.

أما عند المحدثين فإن صوت القاف يخرج برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق واللهاة مع عدم السماح بمرور الهواء من الأنف، وبعد الضغط مدة، يطلق الهواء فجأة فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، ولا يتذبذب الوتران عند النطق به، فهو صوت لهوي شديد مهموس[125].

ويؤكد الدكتور إبراهيم أنيس أن القاف عند مجيدي القراءات صوت شديد مهموس[126] ويذكر[127] أن القاف في أيامنا تلفظ على ثلاثة أوجه:

1- قريبة من الغين لدى القبائل العربية في السودان وبعض القبائل في جنوب العراق، ويقول: وقد تكون هذه هي القاف المقصودة في كتب القدماء والتي كان ينطق بها فصحاء العرب في العصور الأولى، أي أقول: إن هذا الرأي مستبعد جداً لأن الغين صوت رخو والقاف صوت شديد مقلقل، وما أبعد القلقلة التي سببها انحباس الهواء عند مخرج الحرف عن الرخاوة التي تجعل الهواء يمر بيسر وسهولة.

2- وهي همزة عند الشاميين والمصريين، أقول: وفي الغالب همزة مفخمة.

3- تشبه الجيم المصرية، ولكنها أعمق في الحلق وأكثر استعلاءً، وهذا نطق البدو للقاف، ومن خلال ما رواه ابن خلدون عند نطق البدو في عصره أنها بين القاف والكاف، وأن هؤلاء البدو قبائل حجازية في المغرب كانت قد هاجرت في القرن الخامس الهجري ويرجح الدكتور إبراهيم أنيس أن تكون هذه القاف هي المقصودة باللغات القديمة المجهورة.

فالأمر لا يعدو أحدَ احتمالين في تطور النطق بالقاف، إما أن المخرج تراجع إلى الوراء فلم يجد بين أصوات الحلق صوتاً شديداً إلا الهمزة وإما أن يكون قد تقدم إلى الأمام فكانت (الجيم المصرية) أقرب الأصوات منه.

وعلى كل حال فإنني أرى أن القاف التي ينطقها القراء المجيدون والذين تلقوا قراءاتهم مشافهة عن شيوخ اتصل سندهم في القراءة هم الذين يمثلون النطق الصحيح لهذا الحرف لا غير. وعلى علماء الأصوات أن يسعوا بكل الوسائل للعودة إلى النطق بالقاف إلى أصلها، وليس التسليم بواقع نطقها لدى الناس.

وقد تكون درجة جهرها قليلة فالتبس على المحدثين قياسها كما هو الحال في صوت الطاء.

الأصوات المفخمة عَرَضاً:

وبعد الانتهاء من استعراض الأصوات المستعلية (المفخمة) الملازمة للتفخيم نستعرض ثلاثة أصوات أخرى تفخم في حالات خاصة، فإذا زالت هذه الحالات الخاصة عادت إلى أصل تصنيفها وهي الاستفال أو الترقيق.

1- الألف اللينة:

يقول الخليل[128]: «وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح.

ويقول[129]: «في العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون صحاحاً لها أحياناً[130] ومدارج، وأربعة جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدارج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف».

وكان يقول كثيراً [131]: الألف اللينة والواو والياء، هوائية أي إنها في الهواء والألف اللينة من حروف العلة، يقول ابن جني[132] فجميع الحروف صحيح إلا الألف والياء والواو اللواتي هن حروف المد والاستطالة.. إلا أن الألف أشد امتداداً وأوسع مخرجاً وهو الحرف الهاوي.

ويقول: والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف... أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر[133].

والألف اللينة لا تكون إلا ساكنة[134] ... ولا يبتدأ بها ولا تكون أصلاً في الأسماء المتمكنة ولا الأفعال إنما تكون بدلاً أو زائدة[135]. ولا تقبل الحركات، إذن فالألف اللينة صوت مدي جوفي هوائي لا يكون إلا ساكناً ولا يقبل الحركات ولا يأتي ما قبله إلا مفتوحاً، ويتبع ما قبله في الصفة، كما مر معنا، فإن كان ما قبله مفخماً كان مفخماً وإن كان ما قبله مرققاً رقق، ولا يلفظ وحده؛ ولذلك وضعه واضع حروف المعجم مع اللام (لا) خلاف بقية الأحرف التي رسمت وحدها[136]. «ولا توصف الألف بترقيق ولا

تفخيم بل بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً» [137].

- اللام -

وضع الخليل مخرج اللام مع الراء والنون من ذلق اللسان من طرف غار الفم. وقال: لا ينطلق اللسان إلا بالراء واللام والنون. وضم إلى هذه الحروف الحروف الشفوية وسمى الجميع الحروف الذلقة، وهي كثيرة الدوران في الكلام العربي لذلاقتها، وما خلت كلمة رباعية أو خماسية من هذه الحروف إلا كانت من غير كلام العرب[138].

واللام صوت مجهور متوسط (بين الشدة والرخاوة) منفتح مستفل مرقق[139] ، وتفخم من اسم الله تعالى بعد فتحة أو ضمة إجماعاً أو بعد بعض حروف الإطباق في بعض الروايات القرآنية واللهجات العربية[140].

- الراء -

من حروف الذلاقة، ومخرجها مع اللام والنون من ذلق اللسان من طرف غار الفم[141]. وهو صوت مجهور، متوسط، منفتح، مستفل مرقق في الأصل[142]. بمعنى أنها لم تصنف مع حروف الاستعلاء، ولكنها تفخم وجوباً إذا كانت مفتوحة أو مضمومة، وإن كانت ساكنة سكوناً أصلياً وسبقت بفتح أو ضم أو كسر عارض كما في نحو: (ارتدوا، ارجعوا، اركعوا) أو كسر أصلي منفصل عنها بفاصل ﴿ربِّ ارجعون﴾ أو أصلي وبعدها حرف استعلاء (قرطاس، مرصاد) ويجوز تفخيمها وترقيقها في راء (فِرَقٍ) فتفخيمها لوجود حرف الاستعلاء بعدها وترقيقها للكسر الذي في حرف الاستعلاء أو لكسر ما قبلها وبعدها، وفي (مِصْر) و(القِطرِ) حال الوقف عليهما، واختار ابن الجزري[143] في (مصرَ) التفخيم وفي (القطرِ) الترقيق نظراً لحال الوصل. وفي ما سوى ذلك يجب ترقيقها[144] .

«وانفرد صوت الراء بكونه مكرراً صفة لازمة له لغلظه»[145]. وقوله: لغلظه على التغليب لأن أغلب حالات الراء التفخيم، وهذه الصفة تجتنب من غير مبالغة[146].

ومما يلفت النظر فيما مضى من استعراض آراء القدماء في مخارج هذه الأصوات

وصفاتها، أن الخليل ذكر مخارج الحروف في كتاب العين ولم يعرض لصفاتها، على حين ذكر سيبويه المخارج والصفات في الكتاب، وهذا يدعو للتساؤل: أيعقل أن يكون سيبويه مع قرب وفاته من وفاة أستاذه قد اكتشف صفات الحروف بعد أستاذه، والغريب في الأمر أن صفات الحروف عند سيبويه تكاد تكون مكتملة ناضجة...

والرأي عندي أن صفات الحروف كانت معروفة لدى الخليل ولكنه لم يكتبها أو يضمنها في مؤلف كما هو الحال في كثير من آرائه النحوية، وإنما كان يمليها على تلاميذه ومنهم سيبويه الذي كان أكثر تلاميذه حرصاً على تسجيل آراء أستاذه. والتي ظهرت بعد ذلك في مؤلفه الشهير الكتاب الذي حوى جل آراء الخليل ومن سبقوه في النحو والصرف والأصوات... والله أعلم.

تأثير حروف التفخيم فيما جاورها:

إن صفة الاستعلاء أو التفخيم الإطباق في أربعة من أصواتها كما مرّ معنا قد أكسبت هذه الأصوات صفات مميزة عن بقية الأصوات ضمن قانون المماثلة فهي حروف قوية قلما تتأثر بغيرها وكثيراً ما تؤثر هي فيما جاورها من الأصوات، وهذه علامات عدة اختصت بها هذه الأصوات بسبب التفخيم، وهي أنها:

1) تمنع الإمالة: يقول سيبويه في باب ما يَمتنع من الإمالة التي أملتها فيما مضى[147]:

«فالحروف التي تمنع الإمالة هذه السبعة: (ص- ض- ط -ظ -غ - ق - خ) إذا كان حرف منها قبل الألف منعت الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى فلما كانت هذه الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخفّ عليهم فيدغمونه، ولا نعلم أحداً يميل هذه الألف إلا من لم يؤخذ بلغته».

ويبدو أن سيبويه قد تسرع في هذا الحكم، فقد وردت الإمالة في بعض الكلمات التي سبقت فيها الألف بحرف من حروف الاستعلاء مثل: (النصارى) التي أمالها الدوري عن الكسائي[148]. و(يرضى)[149] و(طه)[150] و(أوصاني)[151] و(أنصاري)[152] و(يلقاه) أماله ابن ذكوان وله وجه بالفتح، و(الغار)[التوبة:40]

رويت بالإمالة عن الدوري، وأمال حمزة الألف الواقعة عيناً من الفعل الثلاثي في عشرة أفعال منها: خاف وطاب وخاب، وأمال المطوعي ﴿وما هم بضارين﴾[البقرة:102]، و(أضاء) في الوقف، وهذه من القراءات العشر المعتمدة.

وقد أحسن أستاذي الأنطاكي[153] عندما سماها مضعفات المقتضي للإمالة والغريب أن صاحب النشر الذي يكثر من النقل عن سيبويه لم ينقل رأيه في هذه المسألة ولم يرد عليه.

2) تفخيم اللام: من المعلوم أن اللام صوت منحرف ذلق مستفل (مرقق) ولكنه يفخم – كما مر معنا– في اسم الله تعالى إذا سبق بفتح أو ضم إجماعاً وتفخم أو (تغلظ)[154] اللام بشرطين عند ورش[155]:

1– أن يجاور اللام الصاد أو الطاء أو الظاء ساكناً أو مفتوحاً من دون فاصل مثل: (يوصل – مطلع) أو بفاصل نحو: (طال – فصالاً – يصّالحا) واللام المشددة لا تعد فاصلاً مثل: (يُصلّبوا – طلّقتم – ظلّ) [156].

2– أن تكون اللام مفتوحة[157].

3) تفخيم الراء: وقد مرَّ بنا من بين شروط تفخيم الراء إذا كانت ساكنة وسبقها كسر أصلي متصل بها ولحقها حرف استعلاء مضموم أو مفتوح في الكلمة نفسها نحو: «قرطاس– مرصاد – فرق»[158] فقد كان حق الراء الترقيق ولكن وجود حرف الاستعلاء بعدها جعلها مفخمة.

4) تفخيم الألف المدية: وهي التي تلي أصوات الاستعلاء[159] ، وقد تحدثنا عنها سالفاً.

5) تعذر إدغام أصوات الاستعلاء في غيرها من الأصوات إلا نادراً وعلى خلاف:

– فقد أدغم أبو عمرو الضاد في الشين بخلاف عنه في قوله تعالى: ﴿لبعض شأنهم﴾[النور:62] [160].

– وتدغم الصاد إذا سكنت في التاء ولكن مع إبقاء صفة الإطباق للاحتفاظ بشخصيتها: ﴿لئن بسطت﴾[المائدة:28]، ﴿فرطتم﴾[يوسف:80]، ﴿أحطت

بما﴾[النمل:22][161].

- وأدغم أبو عمرو الغين في مثلها بخلاف عنه ﴿يبتغ غير﴾[آل عمران:85][162].
- وتدغم القاف في الكاف في ﴿نخلقكم﴾[المرسلات:20] ولكن مع إبقاء صفة الاستعلاء عند الجميع عدا أبي عمرو[163]. علماً بأن الكاف قريبة جداً من القاف في المخرج.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «ويظهر أن السر في ذلك هو أن شيوع هذه الأصوات في اللغة قليل، هذا إلى أن هذه الأصوات تحتاج إلى جهد عضلي كبير في النطق بها مما يستلزم لفنائها من الكلام أن يمر الصوت في أكثر من مرحلة، مثل الانتقال من الاستعلاء إلى الاستفال أو من الشدة إلى الرخاوة أو من الجهر إلى الهمس وغير ذلك»[164].

ومن الواضح أن قوة هذه الأصوات وفخامتها تأبيان عليها أن تذوب في غيرها.

6) قلة مجيء الجيم مع حروف الاستعلاء: فإن الجيم من الأصوات المرققة ولا تكاد ترد مع صوت واحد من أصوات التفخيم، وقد نص الجواليقي في المعرب، والشهاب الخفاجي في شفاء الغليل على أن الجيم لا ترد مع الصاد والقاف والطاء في كلمة عربية ولذلك اعتبرت الكلمات: منجنيق[165] ، وصولجان[166] ، وطاجن[167] أعجمية.

أما مجيء الجيم مع حروف التفخيم الأخرى فنادر جداً مثل: خرج، نضج جحظ [168].

7) قلب الحرف المجاور لحروف الاستعلاء من مرقق إلى مفخم في مثل سقت – صقت، سويق– صويق، بسط – بصط، سقر – صقر. والعلة أنهم يخضعون ألسنتهم في موضع المستعلية ثم يصوبون ألسنتهم، فالانحدار أخف عليهم من الإصعاد[169].

8) إبدال تاء افتعلت طاءً إذا كان فاء الفعل أحد حروف الإطباق، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الموضوع[170].

ومن ذلك كلمة ﴿تصطلون﴾[القصص:29] حيث قلبت التاء طاءً لمجاورتها الصاد، وكذا كلمة: (اصطبر) و(اطلع).

9) وكثيراً ما تتأثر الحروف المجاورة لحروف الاستعلاء فتفخم لمجاورتها لها فتتأثر بها كالهمزة في كلمة: أخبر، وأصحاب، وأضغاث، وأطّلع، وأغطش، وأرأيت، وأقبل، وكالهاء في مثل كلمة: تظاهرا، وتقهر، واللام في مثل كلمة: يصلاها التي يمتد فيها تأثير التفخيم إلى الهاء والألف بعدها عند كثير من الناس.

ولذلك نبه علماء القراءات على الخطأ في هذا وسمى ابن الجزري هذه العملية بتخليص الحروف أي الاحتراز ألا يؤثر بعضها في بعض، فيطغى الصوت المفخم على الصوت المرقق، والصوت القوي على الصوت الضعيف.

الأثر الدلالي لأصوات الاستعلاء في المفردات:

بعد أن تعرفنا على الميزات الصوتية لحروف الاستعلاء، وأثرها في ما جاورها من الأصوات، يحق لنا أن نتساءل: هل لهذه الأصوات أثر دلالي في المفردات التي ترد فيها؟ وهل هناك علاقة بين فخامة الحروف وفخامة المعنى؟ وهل بالضرورة أن تكون كل مفردة حوت حرفاً أو أكثر من حروف التفخيم أن يكون معناها مفخماً؟!!

الحق أننا لا نستطيع أن نجزم بقانون حتمي لمثل هذه العلاقة فاللغة العربية بعمرها المديد ونشأتها البعيدة في التاريخ وسعة مفرداتها وتنوعها يصعب الإحاطة بها للوصول إلى مثل هذه النتيجة الحتمية، فلابد أن تخالف هذه القاعدة العديد من المفردات... ولكن المتأمل في كثير من المفردات العربية يلحظ وجود مثل هذه العلاقة بين الألفاظ ومعانيها بشكل لافت للنظر، ولطالما ذكر النقاد حسن اختيار الألفاظ في النصوص الأدبية فما كان جرسها قوياً شديداً فخماً ناسب مواقف الحمية واليأس والمعالي والفخر، وما كان جرسها رقيقاً سهلاً ناسب مواقف الغزل والنسيب وما شابهه، وهل الجرس ناتج إلا عن صفات حروف الكلمات.

والحديث عن جرس الألفاظ وتناسبها مع معانيها يعيدنا إلى إحدى نظريات نشوء اللغة، وهي نظرية المناسبة الطبيعية التي قال بها عباد بن سليمان الصيمري

(ت250هـ) من معتزلة البصرة[171] ، والتي لخصها ابن جني بقوله: «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي وغير ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل»[172].

ولعل هذا الرأي فيما يخص نشأة اللغة يكون مقبولاً لدى لغات كثيرة، وإن كان الأمر لا يعدو الافتراض الذهني المقبول عقلاً، ولكن اللغات عندما توسعت تجاوزت هذا الأمر وأصبحت علاقة صفات الحروف بدلالتها أقرب إلى العشوائية لدى كثير من اللغات، وقد تنطبق هذه النظرية على عدد قليل من المفردات، أما في العربية فقد لاحظ القدماء ومنهم ابن جني سعة هذه العلاقة فهو يقول: «إن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه، وأصوات الأفعال التي عبر عنها، ألا تراهم قالوا: قضم في اليابس وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، وكذلك قالوا: صرّ الجندب فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته، وقالوا صرصر البازي فقطعوه، لما هناك من تقطيع صوته، وسمّوا الغراب: غاق، حكاية لصوته، والسبط بطاً، حكاية لأصواتها..»[173].

ويقول ابن جني: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأصوات فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره»[174].

ويستدل على ذلك بأمثلة عديدة منها: القضم، والخضم؛ حيث جعلوا القاف لليابس لشدتها وقوتها، والخاء للرطب لرخاوتها، مع أن الحرفين مفخمان، وفي الخبر: «قد يدرك الخضم بالقضم» أي: قد يدرك الرخاء بالشدة[175].

ومن ذلك النضح والنضخ وهما بمعنى واحد، إلا أن الثانية تدل على القوة التي عبر عنها صوت الخاء المستعلي ومنه قوله تعالى: ﴿فيهما عينان نضاختان﴾[الرحمن:66]، «فجعلوا الحاء -لرقتها- للماء الضعيف، والخاء -لغلظتها- لما هو أقوى منه»[176].

وفي مقارنة بين كلمات ثلاث وهي: قرت وقرد وقرط، يقول: «فالتاء أخفت الثلاثة فاستعملوها في الدم إذا جف لأنه قصد ومستخف في الحسن عن القردد وهو النبـاك[177] في الأرض ونحوها، وجعلوا الطاء -وهي أعلى الثلاثة صوتاً- للقرط الذي يسمع»[178].

كما يفرق بين السين والصاد في كلمتي: الوسيلة والوصيلة فيقول: «والصاد أقـوى صوتاً لما فيها من الاستعلاء، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة وذلك أن التوسل ليست له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالـشيء... والتوسـل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءاً أو كالجزء من المتوسـل إليـه، وهـذا واضح، فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى والسين لضعفها، للمعنى الأضعف»[179].

ومن ذلك سد وصد «فالسد دون الصد لأن السد للباب يسد، والصدّ جانـب الجبـل والوادي والشعب، وهذا أقوى من السد الذي يكون لثقب الكوز ورأس القـارورة ونحـو ذلك، فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى والسين لضعفها للأضعف»[180].

وكذا في قسم وقصم «فالقصم أقوى فعلاً من القسم، لأن القصم يكون معه الدق وقد يقسم بين الشيئين فلا ينكأ أحدهما، ولـذلك خـصت بـالأقوى الـصاد، وبالأضـعف السين»[181].

ومن ذلك سعد وصعد فسعد بالسين المرققة للأمر المستحب، والسعادة أمر معنـوي نفسي فيه اليسر والسهولة والانشراح، أما صعد بالصاد المفخمة فيكون للأمـور التـي تحتاج إلى عناء ومشقة كالصعود في الجبل ونحوه، ومنه قوله تعالى، مشبهاً حالة ضيق الصدر للمتكبرين عن الإيمان: ﴿كأنما يصّعّد في السماء﴾[الأنعام:125].

وإذا اجتمع في كلمة واحدة حرفان مفخمان أو أكثر فإن ذلك سيؤدي في الغالب إلى قوة وفخامة معنى هذه الكلمة، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً مثل:

صرخ: وهو ارتفاع الصوت، وقد استخدمها القرآن تعبيراً عن صوت المستغيث من ألم أو مصيبة أو فجيعة، قـائلاً: ﴿وهـم يـصطرخون فيهـا ربنـا أخرجنـا نعمـل صالحاً﴾[فاطر:37] أي في النـار، ﴿وإن نـشأ نغـرقهم فـلا صـريخ لهـم ولا هـم ينقذون﴾[يس:43].

والشيطان يقول لأتباعه الذين استصرخوه لمّا قُضي الأمر ووقع العذاب عليهم ﴿ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي﴾[إبراهيم:22].

وصخ: وهو الصوت العالي ومنه (الصاخة) الصيحة تصم لشدتها، ومنه سميت القيامة[182].

وصرعَ، وصرط، وصَعّر، أي أمال خده من الكِبْر، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾. وصغر: وهو ضد الكبر، والصَّغار بالفتح الذل والضيم، والصاغر الراضي بالضيم[183]. وصرم: وهو القطع.

وصعق: ومنه (الصاعقة) نار تسقط من السماء في رعد شديد ومنه قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾[الزمر:68]، وقصم، وقضم، وصفق: وهو إغلاق الباب بقوة[184].

وصغا: أي أمال، وخرص ومنه قوله تعالى: ﴿قتل الخراصون﴾، وقضى، وخلق، وخرق، وخصم، وغلط، وغلظ، وطرق وقبض، وقصر، وأغطش، وطغى، وغمط، وقطّ، وغص، وصقر، وقصر، وصبغ وضغط، ولا يخفى ما في هذه الكلمة من القوة والشدة والغلظة.

ولن نجد كبير عناء في اكتشاف عناصر القوة والفخامة في معاني هذه الكلمات وغيرها مما كان فيه حرف أو أكثر من حروف التفخيم على تفاوت في شدتها وإطباقها وجهرها وفي نوع الصوت التي يقع معها في الكلمة، فإن ممازجة الحرف الضعيف للحرف المفخم قد يقلل من تفخيم الكلمة وقد تحدث عن ذلك ابن جني قائلاً: «ومن طريف ما مر بي في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدها ولا يحاط بقاصيها ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون إذا مازجتهن الفاء على التقديم والتأخير فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوهما من ذلك: الدالف للشيخ الضعيف والشيء التالف، والظليف المجّان، وليست له عصمة الثمين»[185].

وبهذا الرأي نستطيع أن نفسر عدم تأثير الطاء المستعلية -مثلاً- في كلمة لطيف وطريف، وطفيف، وخفيف، وسخيف، ونحو ذلك.. على حين لم تؤثر في كلمات أخرى

مثل (نفق) ومشتقاتها نحو أنفق: وما يحتاج إلى كثير من الجهد، والنفق وهو ما يحفر تحت الأرض والجبال، والنفاق وما فيه من الجهد والعسر والتصنع...

وهناك العديد من المفردات بحرف مفخم واحد وهي تحمل التفخيم في دلالتها كما في صمد، وقمح وقد وردتا في قوله تعالى: ﴿الله الصمد﴾، ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾[يس:8] أي: رافعو الرؤوس لا يستطيعون خفضها فهم كمن وضع غل من حديد في رقبته.. وكذا في زعق، وشهق، وشرِق، وسحق، وثقل، وكظم، وحرج، وبرق، وزبق، وشمط، وفلق، ومرق، وسمق، وطرق، وأبقَ، وطمر، وقبر، ونحو ذلك، ولك أن تتبع مثل هذه الألفاظ وستجد أنها تكاد لا تخرج عما قلناه من تناسب فخامة أجراسها مع فخامة وقوة معانيها.

ويلاحظ أن تشديد حرف الاستعلاء في الكلمة أيضاً يزيد من قوة معناها مثل قوله تعالى: ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾[يس:49]، فهي تدل على استغراق القوم في الخِصام واللجاج، وفي قوله تعالى: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ إذ تدل هذه الكلمة على قوة المعنى وشدة فخامته، وكما في كلمة شطّ، وقطّ وحقّ وخطّ، وغطّ.

وكذا في مد الحرف المستعلي مداً طويلاً حيث يعقبه حرف مثقل كما في قوله تعالى: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾[النازعات:20].

وإذا اجتمع حرفا استعلاء مع المد والتضعيف بلغت قوة الكلمة أوجها كما في قوله تعالى: ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾[عبس:] فجرس الكلمة يكاد يصم الآذان ويعبر بحق عن شدة هول صيحة يوم القيامة.

من كل ما مرّ نستطيع القول: إن حروف الاستعلاء لها تأثير كبير على دلالة الكلمة التي ترد فيها على تفاوت -كما مر بنا- في عدد الأصوات المستعلية الواردة في هذه الكلمة، وفي شدة استعلائها أو فخامتها أو إطباقها وشدتها ورخاوتها، وفي تضعيفها ومدها، وما إلى ذلك من العوامل المساعدة التي تؤكد على تناسب صفات هذه الحروف مع دلالاتها أو معانيها.

كل هذا يدل على أن اللغة العربية لها خصوصية ظاهرة في هذا المجال وتتمتع

بصفات جعلت المتأملين لهذه اللغة قديماً وحديثاً حائرين في أمر نشأة هذه اللغة، أهي توقيفية أم اصطلاحية تواضعية؟ وإن كانت اصطلاحية تواضعية -وهو المرجح لدي- [186] فقد هيأ الله لها أذهاناً ذكية وفطراً صافية ذواقة عرفت كيف تصطفي مفرداتها وتصوغها صياغة شاعرية موسيقية تناسب فيها بين أجراسها ومعانيها إلى حد كبير، وقد أشار ابن جني وهو يناقش فكرة التوقيف والاصطلاح وفكرة التناسب إلى هذا قائلاً: «كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا -وإن بعد مداه عنا- من كان ألطف منا أذهاناً وأسرع خواطر وأجرأ جناناً..»[187].

وقد تجد كلمة هنا وكلمة هناك خالفت ما ذهبت إليه، مثل: رق أي أصبح رقيقاً ومشتقاتها، ودق، أي أصبح دقيقاً وكلمة رفيق وكلمة صفيق بمعنى الشيء الخفيف ورحيق ونحو ذلك، فبعض هذه الكلمات لها من التأويل ما يعيدها إلى النسق الذي رسمناه مثل: رق ورقيق التي هي عكس الغلظة والقسوة، فأقول: إن الرقّ بفتح الراء لا يتأتى إلا بالطرق الشديد كالسيف وكل صفيحة واستعير لما لا يحتاج إلى الطرق، كالصحيفة وكل ما كان رقيقاً بالخلقة أو بالصناعة، والرِّق بكسر الراء وهو العبودية وتحويل الإنسان الحر أصلاً إلى عبد مسترق هو تعريضه لأشد القوة والقسوة حتى زال عن حريته، وكذلك كلمة دق ودقيق التي تدل على النعومة ما آلت إلى ذلك في الأصل إلا بعد أن تعرضت للدق العنيف واستعير هذا الاسم بعد ذلك لما لا يدق وله صفة الدقيق...

أما كلمة رفيق فإن وجود الفاء فيها هو الذي نال من فخامتها وكذلك فإن الرفيق الذي يرفق بالناس بأخلاقه وماله وكلامه إنسان عظيم وهذا المعنى لا يخلو من الفخامة لأن الفخامة ليست دائماً قسوة..

وأما إن عثرنا على عدد من الكلمات عصيت على التأويل وخالفت ما ذهبنا إليه فهي لا تقدح بهذا النسق لأنها تبقى بحكم القليل النادر.

ولا يفوتني في ختام هذا البحث أن أشير إلى أفخم مفخم في الأسماء وهو اسم الله ولفظ الجلالة، فإن اللام فيه رغم كونها في العربية حرفاً مستفلاً مرققاً، إلا أنها وبما تتمتع به من قابلية ذاتية لتكون كاملة التفخيم -كما مر بنا- وجب لها هذا التفخيم عند

جميع القراء لتتناسب مع فخامة وجلالة ومهابة رب العزة سبحانه وتعالى.. إلا إذا سبقت بكسر لما في الانتقال من الكسر إلى التفخيم من صعوبة ومشقة في النطق وهذا ما يتنافى مع السلاسة والانسيابية في النطق وهو ما تأباه العربية.

فكل الحمد والشكر والخضوع والسجود لمعلي شأن هذه اللغة ونسأله تعالى أن يطلعنا على مزيد من جمالها وأسرارها وأن يوقفنا على أسرار إعجاز كتابه الكريم الذي شرف هذه اللغة وزادها جمالاً وبهاءً ورفعة وسمواً.

الخاتمة

بعد هذه الإطلالة العجلى على أصوات التفخيم في العربية والتي عرفت فيها معنى التفخيم والاستعلاء والإطباق، وميزات هذه الحروف وأقوال علماء اللغة القدماء والمحدثين فيها.

ثم توقفت عند كل صوت من الأصوات المفخمة دائماً وهي: (خص ضغط قظ) لأبين مخرج هذا الصوت وصفاته عند القدماء والمحدثين، وإن كان ثمة فرق فقد حاولت التوفيق ما استطعت بين الرأيين أو تعليل هذا الخلاف مع تبيين الرأي الأرجح من وجهة نظر الباحث واجتهاده.

ولقد درست مع حروف التفخيم الدائمة حروفاً يعرض لها التفخيم في بعض حالاتها وهي: الألف المدية، واللام، والراء وبينت أيضاً أقوال العلماء القدماء والمحدثين فيها والحالات التي تفخم فيها.

ثم بينت أثر هذه الأصوات في ما جاورها من الأصوات مبيناً ما هو مسموح به، وما هو محظور ينبغي التنبه لعدم الوقوع به مستعيناً بقواعد التجويد التي نص عليها علماء القراءات متأسين بالنطق الشفهي الذي تناقله الرواة مشافهة جيلاً بعد جيل من قراءة جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ إلى يومنا هذا.

ثم تحدثت عن الأثر الدلالي لهذه الأصوات المفخمة في الكلمات التي ترد فيها، وقد ترجح لدي من خلال استعراض عدد كبير من هذه المفردات وجود علاقة كبيرة بين وجود هذه الأصوات في الكلمات والمعنى الذي تؤدي إليه، وأن هذه العلاقة تتفاوت في الغالب بحسب عدد الأصوات المفخمة التي ترد في الكلمة، فكلما زاد عدد الأصوات

المفخمة في الكلمة الواحدة زادت نسبة تفخيم المعنى كما في غلظ وطرق وصخّ، وضخّ.

كما يقوم تضعيف أو تشديد الحرف المفخم بزيادة قوة وفخامة المعنى كما في شقّ، وشطّ.

وقد يكون للمد اللازم قبل الحرف المفخم المضعف زيادة في التفخيم كما في الحاقة، أما إذا كان المد مسبوقاً بحرف مفخم فإن الفخامة تبلغ أوجها كما في قوله تعالى: (الصاخة).

ثم بينت أن هذه القاعدة قد لا تطّرد في ظاهر بعض الكلمات مثل رق ودق ولكننا بالتأويل نستطيع أن نردها إلى النسق الذي رجحناه.

ولكن مع ذلك فهناك عدد من المفردات يخالف هذا النسق وهي قليلة والقليل لا يفسد حكم الكثير.

كما يظهر جلياً من خلال هذا البحث أن للعرب قديماً جهوداً علمية طيبة في مجال علم الأصوات سبقوا بها العالم أكثر من ألف سنة في الاستقصاء والدقة والضبط وكان دافعهم في ذلك حب هذه اللغة والإعجاب بها -كما يظهر من أقوالهم- والحفاظ عليها من الضياع والتحريف والتغيير الذي يسري عادة على أي لغة ما لم يحطها أهلها بالرعاية والضبط والمراجعة والتقعيد.

ولقد كان هؤلاء العلماء بجهودهم وصنيعهم العظيم هذا ستاراً لقدر الله تعالى مصداقاً لقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

وأخيراً: بعد هذا التعقيب الموجز حول إطلالتنا العجلى هذه على أصوات الاستعلاء في العربية وأثرها الدلالي فإني أوصي بما يلي:

1- الاهتمام بدراسة مخارج الحروف وصفاتها في العربية، إجراء الفحوص المعملية الحديثة لهذه الأصوات للوصول إلى نتائج نهائية حول الاختلافات بين القدماء والمحدثين، وأن تجرى هذه الفحوص على قراء القرآن المتقنين.
2- التوسع في دراسة الأصوات في أقسام اللغة العربية والتركيز على النطق الصحيح وترك الآثار اللهجية والمخالفة للنطق الفصيح.

3- إعطاء مادة التجويد أهمية كبيرة في المدارس والجامعات، وتأمين المدرسين الأكفاء لها.

4- التوسع في ملاحظة الأثر الدلالي لجرس الحروف في الكلام العربي، وإجراء بحوث إحصائية معجمية توصلنا إلى نتائج مؤكدة؛ فإن في ذلك تعزيزاً لأهمية اللغة العربية في نفوس العرب وغير العرب، وتحفيزاً للعرب للحفاظ عليها والاعتزاز بها.

قائمة المصادر

1- أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط2، 1996.

2- أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري (ت528هـ)، دار صادر، بيروت 1965م.

3- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط5، 1975.

4- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ابن مكي الصقلي، تحقيق: د. عبد العزيز رضا.

5- التمهيد في علم التجويد، محمد بن الجزري (ت833هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1989.

6- جهد المقل في التجويد، للإمام المرعشي، مطبعة إلياس ميرزا البورغاني، 1898، ومعه بيان جهد المقل، للمرعشي.

7- حق التلاوة، حسني شيخ عثمان، ط7، 1407، مكتبة المنار، الأردن.

8- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط4، بغداد 1990.

9- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق: لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمان، الأردن، 1404.

10- سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1983.

11- شرح المفصل، ابن يعيش، المطبعة المنيرية، مصر.

12- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، تحقيق: د. مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران، بيروت، 1963.

13- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ) تحقيق: عبد الغفور عطار، دار الكتاب العراقي.

14- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت.

15- علم اللغة العام.. الأصوات، د. كمال بشر، القاهرة 1970.

16- الفرق بين الضاد والظاء، الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، 1952.

17- فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1987.
18- قصد السبيل فيما في اللغة العربية من دخيل، محمد الأمين بن فضل الله المحبي، تحقيق: د.عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة، الرياض، ط1، 1994.
19- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1988.
20- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
21- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت، ط2.
22- المزهر في علوم اللغة، السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ورفيقيه، مطبعة البابي.
23- معاني القرآن، الفراء، تحقيق: محمد علي النجار وآخرين، ط1، دار الكتب، مصر، 1955.
24- مغني اللبيب، ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، بيروت، ط5، 1979.
25- المقاييس في اللغة، ابن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر، ط2، 1998.
26- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الفكر، لا ت.
27- نهاية القول المفيد في علم التجويد، الشيخ محمد مكي نصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1349.

الهوامش

1- الصحاح م(علا).
2- المقاييس، أحمد فارس ص690.
3- أساس البلاغة، الزمخشري.
4- أحكام قراءة القرآن، الحصري ص90.
5- سر صناعة الإعراب 62/1.
6- الكتاب 264/2.
7- سر صناعة الإعراب 62/1. حق التلاوة ص92.
8- التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري ص100.
9- النشر 202/1.
10- حق التلاوة ص92.
11- أحكام قراءة القرآن ص91.
12- جهد المقل لا ص31، عن أحكام قراءة القرآن ص91.
13- أحكام قراءة القرآن ص92.
14- الصحاح م(فخم).
15- أحكام قراءة القرآن ص147.
16- نفس المصدر.
17- الصحاح م(طبق).
18- المقاييس، أحمد بن فارس ص631.

19- الكتاب 406/2.

20- سر صناعة الإعراب 61/1.

21- التمهيد ص98.

22- نفسه ص98.

23- نفسه ص101. والنقلقة والقلقلة بمعنى واحد، وهي الحركة والشدة. اللسان م(لقق).

24- نفسه ص101.

25- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب، ص122-123، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمان، 1404.

26- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ص80.

27- دراسة الصوت اللغوي ص104.

28- جهد المقل، المرعشي ص31، عن أحكام تلاوة القرآن ص92.

29- النشر في القراءات العشر 203/1-215

30- الرعاية ص124-125.

31- النشر 202/1-220.

32- أحكام قراءة القرآن ص149.

33- التمهيد، ابن الجزري ص128-129. وينظر: أحكام تلاوة القرآن، محمود الحصري ص149-150.

34- نهاية القول المفيد، الشيخ محمد مكي نصر، ص103.

35- العين 58/1.

36- لسان العرب (نطع).

37- الكتاب 405/2.

38- الكتاب 406/2.

39- سر صناعة الإعراب 63/1.

40- النشر 203/1-204.

41- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ص62. علم اللغة العام، كمال بشر ص129. المحيط 28/1.

42- علم اللغة العام ص131-132. وينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، د. غانم قدوري الحمد ص61.

43- الكتاب 405/2.

44- الأصوات اللغوية ص62-63.

45- مناهج البحث في اللغة ص94.

46- سر صناعة الإعراب 217/1-218.

47- سر صناعة الإعراب 224/1.

48- العين 58/1.

49- الكتاب 405/2.

50- نفسه 406/2.

51- نفسه 264/2.
52- سر صناعة الإعراب 227/1.
53- ينظر: النشر، ابن الجزري 2/ 214.
54- علم اللغة العام، كمال بشر ص152-153.
55- الأصوات اللغوية ص47.
56- سر صناعة الإعراب 227/1.
57- لسان العرب مادة (ظاء).
58- سر صناعة الإعراب 218/1.
59- العين 58/1.
60- اللسان (أسل).
61- الكتاب 404/2.
62- نفسه 405/2.
63- نفسه 406/2.
64- نفسه 264/2.
65- ابن يعيش م2/ ج10/ ص125.
66- النشر 203/1.
67- علم اللغة العام، د. كمال بشر ص153.
68- الأصوات اللغوية ص76.
69- نفسه ص80.
70- سر صناعة الإعراب، ابن جني 209/1-212.
71- الكتاب 264/2.
72- العين 58/1.
73- الكتاب 405/2.
74- الكتاب 406/2.
75- الكتاب 264/2.
76- شرح المفصل م2/ ج10/ ص127-128.
77- سر صناعة الإعراب 218/1.
78- نفسه 214/1.
79- تحقيق: الشيخ محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف بغداد 1952.
80- الصاحبي ص7.
81- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ص91، تحقيق: د. عبد العزيز رضا.
82- الأصوات اللغوية ص55-56.
83- مغني اللبيب، ابن هشام 155/1.

84- النشر 220/1.

85- سر صناعة الإعراب 214/1.

86- علم اللغة العام، د. كمال بشر ص132-133. الأصوات اللغوية. د. إبراهيم أنيس ص47. المحيط، للأنطاكي 28/1.

87- الأصوات اللغوية ص55.

88- معاني القرآن ص499.

89- المزهر 48/2.

90- علم اللغة العام ص135.

91- ولذلك حدد ابن جني مخرجها فقال: «ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر». سر صناعة الإعراب 47/1.

92- تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية ص17-24.

93- العين 58/1.

94- الكتاب 405/2.

95- نفسه 406/2.

96- نفسه 264/2.

97- النشر 199/1.

98- شرح المفصل م2/ ج10 ص137.

99- سر صناعة الإعراب 61/1-65.

100- الأصوات اللغوية ص88. علم اللغة العام ص155.

101- نفسه ص80.

102- علم اللغة العام ص117.

103- الكتاب 406/2

104- نفسه 405/2.

105- نفسه 264/2.

106- سر صناعة الإعراب 183/1.

107- علم اللغة العام، كمال بشر ص154.

108- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص80.

109- المحيط 19/1.

110- العين 52/1.

111- لسان العرب (عكد).

112- العين 58/1.

113- الكتاب 405/2.

114- نفسه 406/2.

115- نفسه 264/2.

116- سر صناعة الإعراب 61/1.
117- علم اللغة العام ص138. الأصوات اللغوية ص87.
118- الأصوات اللغوية ص80.
119- نفسه ص80-87.
120- العين 52/1.
121- العين 57/1.
122- هذا تصحيف، وخطأ في النحو، والصواب (أحياز) وحيز الصوت مخرجه.
123- العين 52/1.
124- سر صناعة الإعراب 62/1.
125- سر صناعة الإعراب 1/
126- سر صناعة الإعراب 1/
127- سر صناعة الإعراب 653/2.
128- ينظر: النشر 199/1.
129- نفسه 215/1.
130- العين 52/1-58.
131- النشر 202/1-203.
132- النشر 215/1.
133- سر صناعة الإعراب 61/1-62.
134- النشر 106/2.
135- أحكام تلاوة القرآن ص155-163.
136- النشر 218/1.
137- نفسه 219/1.
138- الكتاب 264/2.
139- النشر 58/2.
140- الميسر في القراءات العشر ص94.
141- النشر 31/2.
142- الميسر ص97.
143- المحيط 99/1.
144- تستعمل هذه الكلمة مع اللام خاصة وهي بنفس معنى التفخيم، حق التلاوة ص68.
145- الميسر في القراءات ص116.
146- ينظر: النشر 119/2.
147- حق التلاوة ص72.
148- المحيط 43/1.

149- الميسر في القراءات العشر ص32.
150- النشر 19/2. والميسر ص33.
151- الميسر ص34.
152- النشر 19/2. والميسر ص35.
153- الأصوات اللغوية ص188.
154- قصد السبيل، المحبي 366/1.
155- نفسه 237/2.
156- نفسه 246/2.
157- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ص80-81.
158- الكتاب 265/2.
159- ص22 من البحث.
160- المزهر، السيوطي 16/1.
161- الخصائص، ابن جني 47/1-48. وينظر: فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزيدي ص43.
162- الخصائص 66/1.
163- نفسه 159/2.
164- نفسه 159/2.
165- نفسه 160/2.
166- النباك: ارتفاع وانخفاض في الأرض، المقاييس (نبك).
167- الخصائص، ابن جني 160/2.
168- نفسه 162/2.
169- نفسه 162/2.
170- نفسه 162/2.
171- الصحاح (صخّ).
172- نفسه (صفر).
173- نفسه (صفق).
174- الخصائص 159/2-160.
175- والآية التي يستدل بها من ذهب إلى التوقيف وهي ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ تحتمل أن الله تعالى قد خلق في آدم القدرة على تسمية الأشياء وإيجاد اللغة، وهذا هو ما يفرق الإنسان عن الحيوان، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان. علمه البيان﴾.
176- الخصائص 48/1.